الاوبئة والامراض الغالبة في سورية

من رسالة للدكتور يوحنا ورتبات عضو المجمع الطبي الجراحي في ادنبرج ومجمع علم الامراض الوافدة في لندن . تليت في المجمع الملكي الخاص بعلم الصحة العمومية

المذهب الباشلي في اصل الاوبئة والامراض المعدية حديث العهد ومن المفيد ان ننظر الى ما ذهب اليهِ الاقدمون في سبب الامراض وكان المعوَّل عليهِ عند الاطباء الى هذه الايام الاخيرة . واقدم الاقوال في هذا الشأن ما ورد في كتب ابقراط ابي الطب وبقي شائعاً بلا تغيير يذكر الى زمن اكتشاف الاسباب المكروبية . وخلاصة ما كتبهُ ابقراط في ذلك هو على ما يأتي

١ في الهواء روح او اصل حيوي (١) منتشر فيهِ يدخل الجسد بواسطة النفس ويمتد الى جميع اجزائهِ بواسطة قوة القلب الدافعة لهُ في الشرايين الى اقاصي البدن فيكسبهُ الحياة وبقي هذا القول مرعيًّا الى زمن هرفي الذي اكتشف حقائق الدورة الدموية

٢ قسم ابقراط الحميات الى قسمين الحمَّى المتفرقة او المفردة التي تصيب الافراد والوافدة التي تصيب كثيرين في زمن واحد . (كتابهُ في الاهوية)

٣ متى كانت الحمَّى مفردة فسببها الغالب كثرة الطعام الذي يكثر فيهِ الروح الحيوي فينتج عن ذلك البرد الذي يسبق الحمى ولاجل مقاومة هذا البرد يجري الدم الى الاحشاء والجلد فتشتد الحرارة فيها ويخرج ما زاد من الروح بواسطة التنفس غير انهُ حيث يتكاثر الدم في بعض الاحشاء يكون ذلك سبباً للاحتقان او الالتهاب او النزف

٤ سبب الامراض الوافدة هواء موبوء او أبخرة فاسدة فيكون الكل حينئذٍ عرضةً للوباء ولكن لا يصاب بهِ الاَّ من كان فيهِ استعداد لهُ . وعلى ذلك لا يسبب المرض اثناء الوباء من نوع المعيشة بل من تنفس المادة المرضية فيكون من العبث تبديل المعيشة وانما يجب تجنب الهواء الموبوء ما امكن والافضل هجر الاماكن التي ينتشر فيها الوباء

٥ وفي كتابهِ الاول والثالث في الامراض الوافدة حكم بالتأثير العظيم فيها لما كان يسمَّى باختلاف نظام الفصول فقال " انهُ من المهم في صناعتنا اعتبار الطبائع المختلفة للفصول وللامراض وعلاقة الاولى بالثانية . والنظر في كيفية تأثير الفصل في زيادة المرض او خفتهِ وفي تطويلهِ او تعجيلهِ "

(١) وهو الروح الحيواني الذي عرَّفهُ ابو البقاء في الكليات بقولهِ انهُ جسم لطيف منبعهُ تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب (الشرايين) الى سائر اجزاء البدن

وابن سينا الذي نقل كثيرًا عن ابقراط وجالينوس يقول ان اسباب العلل الوبائية انما هي بعض تعفُّن يعرض في الهواء يشبه تعفن الماء المستنقع الآجن الحاوي مادَّةً غير نقية في حالة الانحلال وان الروائح الكريهة المنبعثة من الآجام والمسالخ وساحات القتال تحمل الى اماكن جيدة الهواء فتحدث وباءً. وما عدا ذلك فالماء الذي يحمله الهواء كثيرًا او قليلاً قد يصير مقرَّ الانحلال والفساد لاسباب جوية فانحراف الفصول عن حالتها الطبيعية على قوله يحصل عند ما يكون الشتاء والربيع ناشفين والربيع باردًا والغيوم متلبدةً لا مطر معها. والنهار حارًّا والليل باردًا وتقلب الطقس غالبًا فجائيًّا

وبقي هذا المذهب شائعًا الى القرن الثامن عشر فقد قال بو بورهاف وهو اشهر طبيب من اطباء ذلك القرن ناسبًا الى الفصول التغيرات التي تطرأ على الصحة والعلل التي تعم الاقطار. وفي اواخر القرن المذكور كان كولن الشهير استاذًا في ادنبرج وكان يعتقد بان اسباب الاوبئة ذرّات هائمة في الهواء منبعثة من جسم المريض. واما الآن فالرأي المعوَّل عليهِ في جميع الاقطار المتمدنة ان اصل الاوبئة والعلل السارية انما هو باشلي او مكروبي او طفيلي

الوافدات الاعتيادية كالدفتيريا والشهقة والتهاب الغدة النكفية وغيرها تكثر في سورية كما في غيرها فلا لزوم للبحث عنها بحثًا خاصًّا. وكذلك يقال في الحميات الطفحية ما عدا القرمزية التي لا توجد هنا او قلَّما تشاهد. واما الحمى التيفوسية التي كانت تنتشر على هيئة وباء في قديم الايام حيث كان الفقر مدقعًا والشقاء سائدًا والقذر مالئًا البيوت حتى في المدن فقد اصبحت الآن بفضل التحسين في الاحوال الصحية قريبة من الاضمحلال. على انها قد تحصل من وقت الى آخر في بعض الجهات وتنتقل منها الى غيرها كما جاءت الى بيروت منذ بضع سنين مع المهاجرين المغاربة الذين وفدوا من شمالي افريقية وهم مصابون بها فانتشرت بواسطتهم بين الاهالي ومات من الفريقين عددٌ عديدٌ ثم اختفى اثرها تمامًا. واهم الاوبئة واكثرها انتشارًا واشدها بطشًا في هذه البلاد الكوليرا والحمى التيفويدية والجدري والطاعون كما سيجيء

(الكوليرا) فشت هذه الوافدة اول مرة ثم صارت تظهر مرةً كل بضع سنين آتية على الغالب من القطر المصري وفي بعض هجماتها كانت شديدة الوطأة اماتت عددًا عظيمًا من اهالي الشام وحلب وحماه وطرابلس وكان سكان قرى لبنان ينجون منها ما خلا بعض الذين هاجروا اليهِ من المدن الموبوءة وسبب ذلك جودة المياه ونقاوتها فانها تتدفق من ينابيع صافية من قلب الجبل. ومما لاحظتهُ تكرارًا ان دوام كل وافدة كان ١٢ اسبوعًا. فتزيد الوافدة في الثلاثة الاسابيع الاولى وتبلغ معظمها في الثلاثة التالية. ثم تأخذ بالتناقص حتى تتلاشى ومن الصعب معرفة

علة ذلك ولربما يكون له علاقة بحياة ميكروب الكوليرا. ومما يستحق الذكر ملاحظتان لاحظتهما في امر الكوليرا في بيروت. الاولى ان مياه الشرب فيها الآن من نهر الكلب فتأتي مصفاة مرشحة ضمن انابيب من الحديد . وبما ان هذه المدينة قد نجت مراراً من الكوليرا التي اصابت جميع البلاد والمدن حولها فتقرر في الاذهان ان الهواء الاصفر ينتشر بواسطة الماء الملوث بجراثيمه وان تقاوة ماء الشرب في بيروت هي علة نجاة هذه المدينة الكبيرة من الوباء المذكور وعليه فقد صمم اهل البلاد المجاورة على اتباع خطة بيروت في جر الماء توقياً من الاوبئة . والملاحظة الثانية دوام العلة طويلاً حيث الماء جار يجرف المواد المرضية وينقلها من مكان الى آخر كما هو الحال في دمشق حيث استمر الوباء ١٨ شهراً . واما بقاء العلة مدة غير المعهودة فيها عادة فيمكن التعليل عنه بان الفقراء من الاهالي يستعملون ماء الآبار التي يسهل تلوثها بالمادة المرضية او يستعملون ماء جارياً تتصل اليه العدوى من اماكن اخرى فيتكرر عودها اليهم . ومن العوامل التي قد يسري بواسطتها الداء الخضر والاثمار والخبز وما من قبيلها مما يعرض للبيع في الاسواق فقد ينقل اليها الذبان جراثيم المرض من مفرزات المصابين فتدخل الى اجواف متناوليها ويصابون بالعلة . وفي زمن المرض تشتد الاوامر من المجالس البلدية بالكنس والتنظيف ورش الحامض الكربوليك وتزع الاقذار وابعادها وتحريض الاهالي على شرب الماء المغلي . وهذه الاحتياطات قد تنفع بتقليل جراثيم الوباء وتحسين حالة الصحة العمومية ولكنها لا تتقن ولا يعلم مقدار فعلها في مقاومة المرض . ومثل ذلك يقال في المحاجر على الشطوط البحرية والنطق الصحية التي يُقصد بها حفظ السواحل من الوباء وهو في داخلية البلاد . فالمحاجر قد تنفع في الوقاية واما النطق الصحية فلا نفع منها وخير من ذلك المراقبة الطبية على المراكب الآتية من البلدان الموبوءة وفصل المرضى عن الاصحاء وما يتبع ذلك من التدابير الاحتياطية الصحية وتنظيف المساكن وتطهيرها واتباع القواعد الهيجينية كما هو جار في البلدان المتمدنة

(الحمى التيفويدية) هذه العلة تحسب مستوطنة اكثر مما هي وافدة . على انها تتخذ احياناً طوراً شديداً وتنتشر انتشاراً مخيفاً حتى تعد وافدة . ومتى كانت افرادية تجيء غالباً خفيفة واذا عولجت بالوسائط الهيجينية اكثر مما بالعقاقير الشديدة الفعل كانت سليمة غالباً . وهي كالكوليرا تدخل جراثيمها الامعاء وتخرج منها فاذا صادفت ماء وشربه الناس انتقلت اليهم وانتشرت بينهم . وفدت الى مدينة بيروت سنة ١٨٩٥ وفوداً هائلاً فأصيب بها نحو الفي نفس في وقت واحد . ولا يعلل ذلك الا بان جراثيم العلة وصلت الى مياه نهر الكلب قبل وصوله الى الغبية فشرب الناس منه واصيبوا بالحمى

(الجدري) مابرح الجدري من اشد العلل في الشرق والغرب حتى اكتشف جنر اللقاح البقري منذ قرن ونيف · وقد كانت وافدات الجدري الثقيلة شديدة الوطأة كثيرة البثور في البدن والجهاز التنفسي والهضمي قبيحة التشويه في الوجه والعينين مما قد يدوم اثره وضرره طول العمر. اما التطعيم الذي عمَّ تقريباً الجميع حتى البدوَ في البادية فقد خفف جميع تلك الويلات حتى صار يؤمل زوال المرض تماماً في مستقبل الايام فلا يعود لزوم للتلقيح بالجدري و يصبح خبرًا من اخبار الزمن الغابر · وحوادث الجدري في هذه الايام محصورة في الاماكن التي يهمل التطعيم فيها او لا يعمل على حقهِ او يذهب من جسم المطعمين فعل الطعم بطول الزمان. واني اعجب من عدم ذكر التطعيم بمادة الجدري في كتب العرب مع ان السيدة مُونتاكو قد تعلمتهُ في القسطنطينية ونقلتهُ الى انكلترا واوربا قبل اكتشاف جنّر بنصف قرن. ولا ريب ان طريقتهم القديمة اي تطعيم الاصحاء بمادة الجدري الحقيقي شديد الخطر اثناء انتشاره ولعلهم كانوا يستعملونها عند ما يصل الجدري الى طور تخف فيهِ قوة مادتهِ المرضية فيقل الضرر في التطعيم بهِ · ويزعم الناس هنا ان التطعيم اولاً او ثانياً اثناء الوافدة يمهد الطريق للاصابة بالجدري ولعل اصل هذا الزعم آتٍ منذ كانوا يطعمون بمادتهِ فيصابون بهِ او من تطعيم من كان في دور الحضانة بعد ان دخلت جرثومة المرض في بدنهِ ثم ظهر الجدري بعد التطعيم فيهِ فنسبوهُ الى الطعم · ومنذ سنوات قرأت ان الدكتور رتشي جرَّب التطعيم عند اول ظهور الجدري فكان سيرهُ اخف فعزمت على تجربة ذلك واختبارهِ بنفسي · وكان في جواري عائلة المانية مؤلفة من ابٍ وامٍ واربعة اولاد كلهم غير مطعمين فاصاب الجدري احد الاولاد ولما دعيت لرؤيتهم طعمت جميع اعضاء العائلة ولعلهم كانوا كلهم في دور الحضانة فظهرت بثور الطعوم وظهر فيهم كلهم نقاط الجدري مع اعراضهِ بعد التطعيم او مع ظهور الطعم ولكن الجدري جاءهم ضعيفاً لان سيرهُ كان خفيفاً ولم يمت منهم احد · واثناء ذلك ولدت الام طفلاً طعمتهُ في اليوم الخامس من عمرهِ فصح طعمهُ ولم يصب بالجدري · فمن المحتمل ان يترتب على مثل ذلك ما يؤدي الى النتائج الحسنة و يقلل الوفيات مثل ما ترتب على مثلهِ في حوادث الدفثيريا وغيرها من العلل الخميرية

(الطاعون) لقد كان هذا الوباء في الاعصر الغابرة من اشد الضربات · وكل من قرأ قصة ديفو عن الطاعون المخيف الذي اصاب لندن سنة ١٦٦٥ يمكنهُ تصوُّر عظم اهوال ذلك الوباء ومخاوفهِ · في مصر وسورية و بقية بلدان المشرق ولا سيما المزدحمة بالسكان كان يهلك خلقاً كثيرًا على ان ما حصل من التقدم في المدنية والمحافظة على قانون الصحة جاء سدًّا تجاه

هجماته حتى اصبح في ايامنا نادر الحدوث ولم يعد لهُ ذلك الفتك المهول . ولم تزل لهُ آثار في الهند ومصر وغيرها وقد زار بيروت آتياً من القطر المصري مرتين في هذه السنين الاخيرة فارتد خائباً في كتيهما ولم تزد حوادثهُ على ١٢ حادثة انتهى اكثرها بالبرء التام

ان فعل الجرذان في نقل باشلوس الطاعون الى الانسان قد صار محققاً الآن على انهُ كان ايضاً معروفاً من قديم الزمان . ففي كتاب المنود المقدس ذُكر " انهُ عند ما تشاهد الجرذان تتساقط من السقوف وتقفز ثم تموت يجب على الناس ان يهجروا البيوت ويتركوا الاصحاب والعلائق ويخرجوا الى البرية " . وقد اشار ابن سينا الى مثل ذلك بقولهِ " ان الجرذان تهجر اوكارها وتخرج حائرة " عند ظهور الطاعون . ومن الغريب ان الشاعر العربي يشير عن غير قصد الى انتيتكسين هنكين ومصل غيرو في قولهِ

لكل شيء آفة من جنسهِ حتى الحديد سطا عليهِ المبردُ

وعند ما يدخل الطاعون بلدة يخرج منها الاغنياء مجتنبين العدوى . وهذه هي نصيحة جميع الحكماء الذي شاهدوا عظم هول الوباء وكانوا في ما سبق يحفظون انفسهم في بيوتهم ويقطعون جميع علائقهم مع الناس ولا يتسون شيئاً من مأكول او مشروب حتى يرشوهُ في الماء والخل . وقد اجمع الاطباء القدماء على ان جودة التهوية وكثرة النور ووفرة التبخير بالعطريات واستنشاق الروائح القوية كالكافور والحلتيت مما يساعد على الوقاية من الوباء . واما الحجر الصحي اربعين يوماً المعروف بالكورنتينا فكان المعوّل عليهِ سابقاً على انهم اصبحوا يعولون على المراقبة الطبية وعزل المرضى بعيداً عن الاصحاء اكثر مما يعوّلون عليهِ

(حمّى الدنج) يظهر من مقالة محكمة العبارة كتبها السر و . ي سناوت (انظر مجموعات جمعية العلل الوافدة في لندن سنة ١٨٧٩) ان اول ما شوهدت هذه العلة ووصفت كان سنة ١٧٨٩ حين انتشرت في فيلدلفيا كوافدة وقد كانت منتشرة نحو ذلك الزمن في باتافيا ومصر واسبانيا وغيرها من البلدان . ومن دقق النظر في انتشار هذه العلة الجغرافي منذ ذلك العهد يجدها تنحصر حسب الظاهر في الاقاليم الاستوائية وما والاها من الاصقاع . واول دخولها سورية كان منذ ٤٠ سنة ولما كان اهم اعراضها وجع مؤلم في الركب لذلك اطلق عليها قبلاً والآن اسم حمّى الركب (ابو ركب) وهذا الاسم اشبه بالحمّى التي كانت تسمّى محطمة العظم في الولايات المتحدة . ومنذ ذلك العهد كانت تظهر في هذه البلاد غالباً متخذة هيئة وافدة شديدة العدوى وقد قال بعضهم انها صارت وافدة ولكني اظن انها تختلط بالنزلة الوافدة والحميات الحاصلة من البرد ومن عسر الهضم . واعراض الدنج المميزة هي القشعريرة التي يعقبها

حمى عالية وقرف شديد من الطعام وانحراف هضمي وصداع وألم في الظهر والركبتين ونحو اليوم الرابع يظهر نقاط اشبه بالوردية يكثر او يقل في جلد البدن وتهيج بعد ظهور الحمى تاركة العليل في غاية الضعف. وهذه العلة غير قتالة ولكنها مزعجة مؤلمة طويلة النقاهة. ومما لاحظهُ الدكتور غرام استاذ الباثولوجيا في المدرسة الكلية السورية في بيروت واستنتجهُ بالمراقبة والاختبار ان سبب الدنج مكروب من نوع الهماتوزون يصيب كريات الدم الحمراء والبيضاء وينتقل من المرضى الى الاصحاء بواسطة البعوض (culex fatigans) (المقتطف يونيو ١٩٠٣)

ومن العلل المستوطنة ما يأتي

(الجذام) اول ذكر جاء لهذه العلة على ما يظن كان في سفر اللاويين من التوراة على ان وصفها هنالك غامض لا ينطبق على الجذام الحقيقي

ثم ان ابن ميمون الطبيب اليهودي والفيلسوف الشهير الذي نشأ في القرون المتوسطة حسب الجذام من العلل الجلدية المذكورة في ذلك السفر. وقد شكا المؤرخان المصريان منيتو وليساخوس من ان اليهود مصابون بالجذام وانهم أُخرجوا من مصر بسبب الشكوى المذكورة التي ذكرها يوسيفوس وكذَّبها (راجع كتابهُ ضد ابيون ك ١ : ٣٤) وكيفما كان الحال في الماضي فاليهود الآن خالون من هذه العلة وبين مئات من المجذومين الذين رأيتهم في سورية لم ارَ الا يهودياً واحداً مجذوماً ولعل ذلك من عادتهم التي اتبعوها قديماً وهي اجتناب المجذومين وابعادهم عن الشعب

والجذام من اشنع العلل التي تصيب الانسان اذ تجعلهُ مقصًى عن الجميع ورائحة بدنهِ شديدة الكراهة والتشويه والتقرح في وجههِ ويديهِ ورجليهِ قبيح المنظر. وهو من العلل التي تزمن وعدواهُ معتقدٌ بها دائماً . ولم يسمع عن حادثة من الجذام برئت بالعلاج لذلك لم يكن سبيل للوقاية من شرهِ الا بابعاد المصابين عن الاصحاء. وليس ذلك بالامر الهين فقد علمت عن رجل كان مصاباً في الطور الاول من المرض انتحر لما رأى اولادهُ وامرأتهُ يجتنبون مخالطتهُ. وقد اتَّبع بعض الشعوب المتمدنة في نروج وجزائر هواي خطة الاقدمين بابعاد المجذومين على نسق ما يشاهد في دمشق والقدس وقبرص. وقد توفرت الادلة على ان هذا الداء معدٍ وعلى انهُ يمكن استئصالهُ باتقان الوسائل الصحية كما استؤصل من بريطانيا العظمى واماكن اخرى في اوربا

اما سبب الجذام فصار معروفاً الآن وهو باشلوس قريب المشابهة شكلاً من باشلوس السل ويقبل الصباغ الذي يصبغ بهِ غير اني لاحظت انهُ اغلظ من باشلس السل واقصر قليلاً . وطريقة دخولهِ الى بدن السليم غير معروفة الى الآن وبعد درسي طويلاً وتدقيقي في تاريخهِ الكلينكي لم اجد طريقاً لوصولهِ الى جسم الصحيح الا الجلد . وطالما كان الجذام معدوداً بين

العلل الجلدية وقد حسبهُ ابن سينا سرطاناً عاماً في الجسم . واول اعراضهِ ضعف الحس (تنميل) في الجلد وفقد لونهِ وتسمكهُ وتولد عُقد وقروح فيهِ وسقوط الشعر منهُ وعند بلوغ العلة بالامتداد الى التجويفين الانفيين يفقدان غضاريفهما . وذلك يدل على كون الجلد اول مقرّ للداء وانهُ اول جزء من البدن يصاب بياشلوس الجذام تلقيحاً على الارجح من خدش او كشط فيهِ او بواسطة الهوام والبعوض التي من شأنها لدغهُ والانتقال من شخص الى آخر . فلوكان الباشلوس المرضي يحملهُ الهواء لكان الانف اول ما يصاب بهِ وليس الحال كذلك وعلى فرض كون الجهاز الهضمي سبيلهُ للدخول الى البدن بواسطة طعام كالسمك حسب زعم تبعهُ الدكتور يوناثان هتشنصن فيبعد عن المعقول انهُ يدخل من هناك ثم يجتاز الى الجلد ليبتدئ ظهورهُ فيهِ . ومن جهة الزعم بدخولهِ بواسطة السمك فلم يسمع ان سمكاً حديثاً ولامقدّداً وجد فيهِ باشلوس الجذام فضلاً عن ان هذه العلة محصورة هنا في المدن والقرى الداخلية حيث يندر اكل الاسماك

ولدى النظر في الاحصاءات الدقيقة يظهر ان للوراثة والتناسل تأثيراً عظيماً في انتشارهِ ولكن ذلك قد يُحمل على شدّة تعرض الاقارب للداء اذا كانوا من عائلة واحدة كثيرة الامتزاج والاختلاط بعضهم ببعض وهو الاقرب الى الصواب

(حبة حلب) هذه العلة نادرة الظهور في سورية ولكنها منتشرة ما بين حلب وبغداد وفي ما بين النهرين وكان المظنون انها محصورة في الاصقاع التي تشرب من الفرات ودجلة الامر الذي حمل على الزعم ان سبب العلة في مياه النهرين المذكورين على ان في الهند نوعاً من البثور اشبه بحبة حلب واظن انها تسمى هنالك حبة دهلي او بثرتها . ومقر حبة حلب الغالب من اجسام اهل البلاد هو الوجه واما في الاجانب فاليدان والرجلان . وتظهر اولاً على هيئة حليمة صلبة تتعدّد غالباً وبعد بضع اسابيع تنفقئ وتصير بثوراً ثم تزداد حجماً فتبلغ نحو عقدة قطراً وبعد عدة شهور تبرأ تاركة ندبة تظهر طول العمر ومتى كانت في الوجه شوهتهُ تشويهاً يختلف حسب مقرّها ودرجة امتدادها . ولما شاهد الدكتور فانديك كارتر ان البثرة تصيب الاجزاء المتعرضة للهواء كالوجه واليدين والرجلين اعتقد ان العلة تنتقل بواسطة المناشف التي تستعمل لتنشيف تلك الاجزاء . على اننا الآن بعد معرفة علاقة الهوام اللداغة بالعلل صرنا نميل الى الاعتقاد انها هي واسطة نقل العلة من المصاب الى السليم . وقد بلغني حديثاً ان احد المرسلين الانكليز في حلب وضع لاسرّة اولادهِ ناموسيات محكمة الوضع فوقاهم بها من الاصابة بحبة حلب . ولا يبعد ان نعلم يوماً ما ان البعوض المعروف بالناموس او ما شابههُ هو السبب الحقيقي لنقل المكروب الخاص بحبة حلب كما هو واسطة لنقل غيرها من العلل

(التريخينا) ان الخنزير يعيش في الشرق عيشة قذرة ولا يأكل لحمهُ الأ بعض عامة النصارى ومع ذلك لا يرى في المدن ولا في القرى اثر لمرض التريخينا الذي يختص بهِ ومصدرهُ من اكل لحمهِ . واما الذي نعلمهُ فهو ظهور هذه العلة مرة كل عشر سنوات او نحوها في القرى المحاذية للمستنقعات عند اجتماع ينابيع نهر الشريعة قبل دخولهِ بحيرة الحولة حيث يوجد الخنزير البري فيصطادهُ الاهالي ويأكلون لحمهُ غير مطبوخ جيداً . فقد فشا مرض التريخينا هنالك سنة ١٨٨١ فكتبت فيهِ حينئذٍ الى جريدة اللانست وذكرت ان الاصابات كانت ٢٥٧ والوفيات ستًّا وتلك هي الفرصة الوحيدة التي امكنني انتهازها لدرس هذا المرض ورؤية الدويدة المرضية عريانةً ومكسوةً بحفظتها في كلتا الحالتين

(الهياتوبر) لسوء الحظ لا يوجد حتى الآن اسم خاص لمرض خاص منتشر في مصر وجنوبي افريقية وموريتيوس وغيرها من الاقاليم الحارة . والمكروب الذي يتوقف عليهِ هذا المرض كل التوقف اكتشفهُ الطبيب بلهارز في القاهرة فلذلك سمي باسمهِ بلهارزيا هياتوبيا . وقد شاهدت حادثة مشتبهة جاءت من يافا وسمعت عن حوادث اخرى في تلك المدينة . وتحت المكرسكوب الضعيف القوة تشاهد خثيرات من الدم مع البويضة المرضية قياس كل منها جزء من خمسمائة وخمسين جزءا من العقدة عرضاً ولها نتوء بارز في احد طرفيها وفي الشكل الدوسنتاري من العلة يكون النتوء جانبيًّا . فاذا غسلت الخثرة بالماء البارد او ضغطت الزجاجة التي تغطي النقطة يشاهد تحت المكرسكوب ان البويضة انكسرت وخرج الجنين من قشرتها وتمدد متدرجًا مع هدبهِ الذي يحيط ببدنهِ المستطيل

اما الدودة الكاملة النمو فاكبر ولكنها لا تشاهد الاَّ في الدم بعد الوفاة ملتصقةً باحد جدران الوعاء الثاني او الماساريقا او الوريد البابي . اما كيفية دخول هذا الحيوان الطفيلي الى البدن والطور الذي يكون عليهِ عند دخولهِ فغير معلوم حتى الآن . ومصدر الداء بلا ريب من الماء ولاجل ذلك قلما تصاب الطبقة العليا من سكان مصر الذين لا يشربون الماء حتى يصفوهُ ويقطّروهُ واما الفلاحون الذين يشربون ماء النيل كما هو فقلما ينجون من الاصابة بالداء . فيظهر من ذلك ان جرثومة العلة تدخل من الفم ومن المحتمل ان تكون على هيئة جرثومة صغيرة لان البيضة اكبر من ان تدخل وتسير في الاوعية الشعرية . غير ان دخولها الى الأوردة مقرّها العام لم يزل من الالغاز التي لم تُحل الى الآن على ما ارى . ومن جهة علاجها فقد عثرت على بعض حوادثها وعالجت احداها بجرعات من زيت التربنتينا كل منها مؤلفة من درهم ثلاث مرات كل يوم مدة ثلاثة اسابيع . وعالجت الاخرى بجرعات من غرام من السرخس الذكر مرتين كل يوم

(الانكلوستوما) علة الانيميا وهي علة اخرى من علل الاقاليم الحارة الخلسية واظن ان اول ما اكتشف سببها من عهد قريب كان في مصر وهي تدخل الجسم من الفم بواسطة الماء المشوب بجرثومتها وبواسطة الايدي القذرة والخضر غير المطبوخة . وفي حوادث الانيميا المستعصية التي سببها مجهول ولم تذعن للعلاج بالكينيا والزرنيخ والحديد قد جربت الثيمول فكان كافيًا لطرد الدودة المذكورة التي كانت السبب الحقيقي ولكن خبرتي في هذا الامر غير كافية

وفي سورية ايضًا امراض اعتيادية لا يمكننا اطالة الكلام عليها وانما نذكر اكثرها شيوعًا

(الحمّى الملارية) على انواعها وهي كثيرة الوجود في البلاد ويشاهد ايضًا فيها ما يقال له الحمّى المتقطعة الخبيثة وهي قتالة في الدور الثاني او الثالث اذا لم تعالج سريعًا بجرعات كبيرة من الكينا شربًا او حقنًا تحت الجلد والحقن افضل لان الامتصاص فيه اسرع . اما عمل البعوض في نقل الجرثومة المرضية من المصابين الى الاصحاء فقد صار محققًا لدى الطبقة المتهذبة في البلاد . وكذلك فوائد الناموسيات ونزح المياه الراكدة . واما سوء التينة وضخامة الطحال والكبد والاستسقاء البريتوني فكثيرة الحدوث في الاماكن الملارية ولاسيما التي تهمل فيها الاسباب الصحية

و (السل) اقل انتشارًا في سورية ولاسيما في الشرق اجمع مما هو في اوربا . وهو نادر في لبنان والاماكن العالية التي يعيش فيها الاهالي في نقي الهواء متمتعين بنور الشمس وهواء الجو الجاف . وفي هذه البلاد حيث لا يوجد مستشفيات للسل على النمط الحديث يمكننا ارسال المصابين من اهل اليسار الى الجبال فتتحسن صحتهم وقد يشفون تمامًا بعد ان يكون الداء قد تمكن منهم

و (السرطان) ايضًا نادر الحدوث في هذه البلاد . فان معيشة السكان في الفلا وقوة بنيتهم الطبيعية وبساطة مآكلهم التي اكثرها من النشويات والخضر مع قليل من اللحم يظهر انها تقاوم عوامل المرض مهما كانت حقيقتها وهذا هو موضوع البحث الدقيق والدرس الكثير عند علماء هذه الايام

ومذهب اطباء العرب وغيرهم من الكتاب القدماء في الاورام ولا سيما السرطانية لا يستحق الاعتبار وهم يعدّون السرطان قتالاً يصيب الجلد والاعضاء الداخلية وقد قالوا بمنفعة العمل الجراحي في طوره الاول مع كونهم حكموا بافضلية ترك الداء للطبيعة زعمًا ان ذلك اضمن لطول العمر وتخفيف الالم . وقد وجدت في حوادث السرطان الداخلي ان افضل علاج ممكن قليل الضرر استعمال المورفين على جلد نزعت بشرته بالحرافة التي لا يلزم ان تكون اكبر من نصف ريال . وكمية المورفين التي توضع على الحرافة او القرحة من ٣/١ قمحة الى قمحة واحدة كل يوم وبالمداومة على هذا العلاج لا يحصل اضطراب في الجهاز الهضمي ويخف الألم المزعج وتصير ليالي العليل اقل انزعاجًا وبالنتيجة يطول عمره (نقلاً عن الطبيب بتصرف قليل)